# مقدمة

## عن النسوان

لا يحمل المعنى المضمر هنا أى إيحاء حسى، فالنسوان، هو معنى لهوية جنسية Sender وهو تعبير يعنى فى العلوم الاجتماعية، فهمًا، ثقافيًا، أكثر منه بيولوجيًا.

فالفهم السليم للمرأة يظل المدخل الصحيح للاقتراب منها، والغريب هنا أن كلمة (النسوان) عندنا أصبحت ترادف الكثير من المعانى البالية عن المرأة سواء بخصوص عقلها أم صورتها أم فى تفكير الرجل.

بل لا نبالغ إذا قلنا: إن المرأة نفسها فى كثير من الأحيان تبذل جهدًا مُضَاعفًا لترسيخ المفهوم الشائع عنها لدى الرجل مهما تكن درجة ثقافته، وهى التابع أو التابعة له، المرَّفهة عنه، المخلوقة من أجل البيت والأولاد.

بيته وأولاده...

وإذن، فمحاولة الاقتراب من المرأة جعلتنا نؤثر عنوان «النسوان»، بعيدا عن التصورات القابعة فى اللاشعور عند المرأة والرجل، فالمصطلح نفسه يشير إلى معنى لغوى صحيح بالعربية الفصحى، فهذا المصطلح نجده يعبر عن المرأة أحسن تعبير: فى كثير من المعاجم العربية - على سبيل المثال - : لسان العرب والمعجم الوسيط.. وغيرهما مما يؤكد على التصور الصحيح لتكوين اللغة ورموزها.

«النسوان» - إذن - لفظة عربية معنًى ومجازًا أكثر دقة فى التعبير عن سواها، وأقرب إلى التصور الصحيح لدور اللغة فى حياتنا.

إنه التعبير العربى الذى يحوى دلالة مغايرة إذا تعلق الأمر بمثله فى الغرب سواءً فى الرمز أم التطور التاريخى، وهو ما يتأكد على مستوى المقارنة مع هذا الغرب فللشرق تطور وللغرب تطور مغاير تمامًا.

ولأن الغرب يظل دائمًا: الآخر، الذى لا يمكن تحقيق الذات إلا بالنظر إليه، والإمعان فى موقعه وموقفه منا، فإن التناظر بين دور المرأة فى الغرب ودورها فى الشرق يمنحنا اقتناعًا مهمًا، هو، أنه لا يهمنا من تجارب المرأة فى الغرب إلا ما يصلح لنا..

ولا يهمنا مايسوقه الغرب من دلالات إلا ما نجده متمشيا مع قناعتنا..

إنه المعنى المغاير المشابه فى آن واحد بيننا وبين الآخر، الأكثر من هذا أن المعنى يتضح أكثر

إذا أضفنا ما نعرفه نحن عن المرأة، إنها تمثل – كما نسعى إليه ايديولوجيا – هذا الآخر الذى نحمل له معانى متغايرة إلى حد بعيد..

إنه المعنى المضمر والمعلن للمرأة فى العصر الحديث..

وبهـذا المعنـى فإنه لا يهمنا التطور الذى انتهى بالمرأة هناك إلى «حالة» من التراكم النسـوى Feminism الذى يعتمد على الواقع الغربى أكثر منه على واقعنا العربى .

ولا يهمنا هذا المعنى الذى نحمله نحن أولاد الشـرق لهذا المخلوق الذى جاء من ضلع آخر، لانقول أعوج، وإنما نقول مرتبطا بالذات العربية ومتمشيا معها ليس فى أصل التعبير فقط، وإنما فى التعبير الذى راح يحمل معانى كثيرة ليس فى الغرب وحده وإنما هنا فى الشرق أيضا ..

تستطيع الحركات «النسوانية» فى الغرب أن تطالب بتوفير موانع الحمل وتسهيل الإجهاض مجانًـا، كما تسـتطيع أن تتحدث عن إنهاء أشـكال «التمييز ضد السـحاقيات وحق المرأة فى أن تحدد ميلها الجنسـى» – كما أشـارت إلى ذلك لجنة التنسـيق النسائى البريطانية فى القرن الماضى – وتطالب بحرية المرأة فى اختيار أنوثتها بنفسـها من التركيز على شـكل المرأة وشبابها وعطورها وحرية الجيب وطبيعة الملابس الداخلية كما تعكسـه لنا وسـائل الإعلام الأمريكية فى القرن الماضى وحتى اليوم..

غير إن المرأة عندنا لا ترتبط بذلك كله، وإن ظهرت فى بداية القرن الحادى والعشرين عندنا دعوات مقلدة، إنها هنا تختلف، لا فى جنسها فقط وإنما فى وضعها العام..

نقصد المرأة العربية التى عاشـت آلام التخلف وأوجاع الاستعمار البريطانى فى القرون الماضية ثم الامبريالى (الأمريكى) فى الحقبة الأخيرة ..

إن المرأة العربية لا تتحدث كثيرًا عن حق المرأة فى أن تجد ميلها الجنسـى أو تحدده، فإن ذلك كله ترف لا تملك القدرة عليه اليوم، إن هذه المرأة مطالبة بتغيير بنية المجتمع حولها، فهذه البنية الأبوية للمجتمع وتقاليده البالية وتخلفه الهائل يظل أهم من المطالبة بالحقوق المترفة، إن القضايا العربية هنا، والتى يتسـاوى فى المعاناة منها الرجل والمرأة على السـواء، مازالت تتأثر بحركة المجتمع، وهى حركة، مازالت – على رغم تعرفنا إلى الغرب منذ قرابة قرنين من الزمان – عاجزة عن اللحاق بالتطور الهائل فى هذه القرية التى نحيا عليها دون الإفادة من هذا التطور، وإنما مازالت تعانى من قضية الأمية وتدهور التعليم والنظرة الأحادية، والنظرة «الذكورية» المتدنية للرجل، لا النظرة الواعية الغائبة للمرأة فى صراعنا – كأمم عربية – مع الغرب الظالم .....

والمرأة فى الوقت نفسه أيضا ترفض أن تستخدم حالات الاغتصاب أداة ضدها لحجب القضايا الأساسية فى فترة زمنية محددة، أو افتعال قضية وهمية عن علاقة الرجل السيئة بالمرأة (كعدو) لها، المرأة تسعى لرفض أن تصبح (شيئًا) أو تتحول إلى سلعة إغراء فى وسائل الإعلام..

إن للمرأة مطالب لا تخرج عن المشاكل التى يعانى منها الرجل تمامًا مثل الرجل في صورة القهر الاجتماعى لا القهر الجنسى وحده.

**(لنذكر: أكثر من ٧٦ فى المائة من النساء يعانين من ضعف المستوى الثقافى ويصل عند الذكور إلى أكثر من ٥٠ فى المائة، وتعانى أكثر من ٧٦ فى المائة من النساء من الأمية فى حين لا تقل النسبة عن ٥٠ فى المائة لدى الرجال، وبلادنا تعانى من المساكن؛ فيسكن فى مساحة ٥٠ مترًا مكعبًا مالا يقل عن ٧٥ فى المائة من الأسر الريفية، ولا يعرف الكهرباء فى القرية أكثر من ٣٠ فى المائة، وعلى امتداد ستة آلاف جمعية تعاونية زراعية لا تعرف سوى ٥ نساء فقط فى جميع مجالس إداراتها، بل لا يوجد نادٍ نسائى واحد فى الريف المصرى اليوم، وقل مثل هذا عن الخدمات والتعليم.. إلخ).**

هذا وغيره يمكن أن نرصده فى نهايات ألفية وبداية ألفية أخرى، حيث يتصاعد بشكل أكثر لتحول الدراما المرئية إلى ميلودراما مفجعة فى بدايات القرن الحادى والعشرين.

وهو ما يشير فى الحالتين إلى ما يجب التنبه إليه لدى المرأة الآن: درجة الوعى وليس القضايا العامة، من الغرب، أو التى تغرقنا فيها من آن إلى آخر النظم البطريركية، وعديد من المجلات النسوية والجمعيات والقنوات الفضائية الرسمية أو الأهلية أو – حتى – النسوية التى لا تنظر إلى المرأة إلا كفستان وأدوات تجميل وأداة جنس ومانيكان وفتاة إعلانات.. إلى غير ذلك..

درجة الوعى، إذن، هى ما يجب أن يعاد معها النظر إلى المرأة إعادة النظر وليس «التسليع» أو «الأداة» التى تستخدم الآن كما كانت تستخدم قديما.

* * *

وهذا يصل بنا إلى درجة أخرى من درجات الوعى..

إن هذا الوعى يظل شكلاً من أشكال التّنوير الذى تعيش فيه بلادنا، مما يخرج المرأة من التصور الأيديولوجى (أن يقال إن المرأة تمثل مع العبيد والخدم فكرًا مغايرا على المستوى التاريخى)، أو التصور البيولوجى (أن يقال إن المرأة أضعف بحكم التكوين)، أو تصور سيكوباتى (أن يقال إن الطبيعة النسوانية السلبية تكونت بفعل الرجل).. إلى آخر هذه الترّهات التى مازال يرددها عندنا ليس الأميين فقط وإنما بعض المتعلمين والمثقفين وبعض المشايخ أيضا.

معنى هذا كله أن موقف المرأة الإيجابى لا يقتصر بالضرورة على الجنسين (الرجل والمرأة)، لكنه لا يخرج عن سياقه الطبيعى حين تطالب بحقوق فردية، فهذه الحقوق تصبح مدخلاً للحقوق الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع..

فحـين لا تصبح المرأة واعية لدرجة مشـاركتها فى تغيير المجتمع تتحول إلى أداة لا دورلها؛ وليست إلى أداة فعل بالطبع..

وحـين لا تدرك المرأة بشـاعة الواقع، وتعمل لتغييره، تصبـح النتيجة على العكس، تتحول إلى البكاء على الأطلال، أو تتمسـح بالشرائع أو تنكص إلى عصر الحريم بإرادتها للاسف الشديد وليس بإرادة المجتمع أيضا..

وقد يكون من المهم أن نكرر هنا – بداهة – أن الوعى الفردى لا يعنى بالضرورة التغيير الفردى (الشـخصى)، وأنه لا يمكن تجاهله، فالتعبير الفردى الذى يتم فى إطار واع يصبح فعلاً جماعيًا فى النهاية..

إنه الفردى الذى يسـعى إلى المجتمع ويعمل فى إطاره وهذا يعنى أن الفردى سياسـى وليس شخصيًا بأية حال ؛ الفردى هنا يظل «رؤية لتغيير العالم»..

بالفردى هنا يمكن لنا أن نرى دعوة هدى شعراوى – على سبيل المثال – فى إطارها الصحيح حين تدعو إلى إنشاء نادٍ رياضى للنساء عام ١٩٠٦.

وبالفردى هنا يمكن أن نرى دلالة أن يرشح مجلس الشعب فى عام من الأعوام أربع نساء، فلا يبقى فى المجلس من أصل ٤٤٠ رجلا غير ٤ نساء فقط (عام – على سبيل المثال – ١٩٩٠)..

الأكثر من هذا أن نلاحظ أنه بدون «تخصيص» مقاعد للمرأة فى مجلس الشـعب يكون تمثيلها ضعيفًـا جـدًا، فإنه بينمـا كان عدد مقاعد المرأة عام ١٩٧٩ يصـل إلى ٣٥ امرأة منتخبة تدنى عام ٢٠٠٥ ليصـل إلى ٥ مقاعد لنسـاء منتخبـات وهو يبرر الدعوة إلى تخصيـص لا «انتخاب» مقاعد للمرأة أخيرًا.

وبالفـردى أيضا نسـتطيع أن نفهم دلالـة الاهتمام بالعديد من القضايا فـى هذا القرن – بين ١٩٠٦– ١٩٩٠– التـى تتراجـع ولا تتقدم أبدًا وتبدو فى إطار فردى: كقضايا الزواج، والطلاق، وتعدد الزوجات، وتعليم المرأة، وقضية العمل.. إلخ..

إنه الفردى – الهوية النسوانية – الذى لا يرى قضايا المجتمع فى حركة انفصال عن قضاياها الشـخصية، وإنما تظـل القضايا الذاتية للمـرأة كخيوط تتباعد وتتقـارب لتمثل – فى دخولها النسيج – القضايا الجماعية للمجتمع..

ولذلـك، فإننا نقول: إن معيار تقدم المرأة يكون بمحاولـة رفع درجة الوعى، وهذه المحاولة تمثل درجة من درجات التطور والتنوير.. فى عالمنا العربى التعس الذى لم يعد نيفرق كثيرًا بين قهر المرأة وقهر الرجل.

وهو ما نجم عنه ظهور دعوات نسوانية كثيرة طائشة.

وهو ما يصل بنا إلى انتقاء نماذج دالة مانعة..

فى هذا الإطار تتحدد وتتعدد الشخصيات النسائية وتمثل نماذج دالة.

وعلى رغم أنها ليست نماذج مانعة.. فإنه يمكن أن تمثل – بفعل التتابع المحورى – نماذج أصلية Prototype تمثل أغلب النماذج المعروفة الآن فى هذا العالم.

فـى هذه الحقبة من التاريخ المعاصر الذى ما زال – على رغم دعوات رجعية – يمثل التكوين الإيجابى للمرأة، والذى على رغم دعوات شـرقية متخلفة يمثل التطور الإيجابى الذى لم يسـع إليه الإنسان، وإنما سبقه الدين الحنيف فى عدة من آياته ...

إننا أمام الغربية والمناضلة والعالمة والمسـيطرة والزوجة والحديدية والنارية.. والمفترى عليها، إلى غير أولئك من النماذج النسوانية الواعية اللائى نجدهن فى هذا الكتاب.

إن كل نموذج يشير إلى شبيهه ويستدعيه، وكل نموذج يؤكد النموذج الأصلى..

وعلى سبيل المثال، فإن المناضلة – عبلة طه – تشير إلى كثيرات عندنا، كثيرات، مجهولات، نرى عشرات منهن فى الأرض المحتلة (فلسطين)، وهن معروفات لدينا، حين نذكر: ليلى خالد، الفدائية الفلسـطينية التى قامت بجسارة شديدة بخطف الطائرات الإسرائيلية إبان تكوين خبرة للبحث عن أسـلوب للتعامل مع العدو، ولدينا: فاطمة برناوى التى اشتركت فى عام ١٩٦٧ فى تفجير سينما تسيون الإسرائيلية وحكم عليها بالسجن مدى الحياة واعتقلت السلطات الإسرائيلية والدتها وشقيقتها وراحت تندد بمن كان يعرفها، وخارج النضال لدينا عشرات أخريات واعيات لابد أن نذكر منهن: ليلى أحمد، وفاطمة المرنيسى.

وفى هذا الإطار نستطيع أن نذكر المفاوضة: – حنان عشراوى – التى استطاعت خارج السجن أن تلعب دورًا إيجابيًا فى حركة النضال العربى والبحث عن صور للتعامل مع الإسرائيليين عبر تراكم الخبرة والوعى فى سـنوات النضال ضد الصهاينة، ومعها يمكن أن نذكر عشرات الفتيات الواعيات اللائى عرفن فى فترات المقاومة الفلسـطينية فى نضالها المسـتمر أو – حتى – بعد أن دخل العرب الفلسطينيون فى السنوات الأخيرة فى نفق الشقاق والنفاق ...

هذه نماذج من الشرق العربى، وهناك نماذج أخرى من الشرق الأسيوى، وتمثل السيدة الواعية – بنازير بوتو – أبلغ تعبير عن هذا النموذج فى التصدى للهيمنة الغربية على بلادها، والتصدى أيضـا لطغيـان الحكام الموالـين للغرب أو الطامحـين إلى منصب ومراتب عليـا حتى رحلت، أو قتلت أو اغتيلت بشكل أدق من بين أهلها فى باكستان.. ونموذج بنازير يذكرنا بنماذج أخرى من أمثال: كورازون اكينو فى الفلبين وتشـاومورو فى نيكاراجو ثم الشـيخة حسنية ومسز كورى وبندرانيك.. وغيرهن كثيرات..

وقبل هذا وبعده نستطيع أن نستعيد نماذج دالة شجاعة فى الشرق والغرب، فمن ينسى هدى شعراوى فى مناداتها بحقوق المرأة منذ فترة مبكرة من القرن الماضى، ولم يرتبط كفاحها بالمستعمر

فقط، وإنما جاوزته إلى المستعمر الآخر – الداخلى، ومن ينسى جميلة بوحريد التى عرفت من أشكال النضال وإنجازاته حتى نالت الجزائر الشقيقة استقلالها..

وعبورا من الشرق إلى الغرب، فسوف نرى أوضح مثال للمرأة المسيطرة، – نانسى ريجان – ولا نكاد نذكر نانسى إلا ونذكر معها الكثيرات من أمثال بتى ورزوزليـة ودولى من زوجات المسئولين الأمريكيين، ثم مارى – آن وكاترين ومارجوت، ثم بربارة من زوجات المسئولين البريطانيين.. إلى غير أولئك..

ونتمهل أكثر عند اثنتين: المرأة الحديدية – تاتشر – والمرأة النارية – كريسون – من بريطانيا وفرنسا، فكل منهما كانت تتميز بصفات تتشابه لا فى النوع فقط، وإنما – أيضًا – فى الطموح والرغبة فى التحرر ونيل الحرية فى داخل بلادها دون ربط هذا بالهيمنة على استقلال الغير والنيل من وعيه وقدراته..

ولسنا فى حاجة لنذكر العديد من هذه النماذج؛ إذ أصبحت الآن كثيرة فى العالم الذى نعيش فيه..

وتوجد نماذج أخرى كثيرة نلتقى ببعضها هنا، ونتعرف على شبيهاتها داخل الكتاب وخارجه مما يقطع بدور «النسوان» فى الحياة السياسية والاجتماعية فى عالمنا، وفى عديد من مناطقه .

وهو ما نقترب معه أكثر إلى الصورة الايجابية للمرأة الواعية سواء فى ممارسة وجودها ضد المستعمر الخارجى، أم المستوطن المزعوم أم حتى بين أبناء جنسها من الرجال والنساء – أيضا – اللائى مازلن جميعا لا يرون غير نموذج المرأة المتخلفة والجانية من أبناء جنسها، والمتخلفة من أبناء بلادها من الرجال أيضا..

وهو ما يعود بنا إلى المعنى الإيجابى للمرأة أو لنون النسوة أو لهذه الذكورة المتخلفة والمستعمر الجانى البغيض فى فلسطين والعراق و..

والنسوان عندنا وعندهم يتشابهن فى الاقتراب من النموذج أو الابتعاد عنه، لكنهن يختلفن فى درجة الاهتمام وطبيعته، فالمرأة عندنا تعانى من الهم اليومى المغاير لمثيله عندهم..

والمرأة عندنا يجب أن تهتم بدرجة عالية من رفع الوعى فى حين أن المرأة هناك تعيش فى سياق حضارى مغاير لمثيله هنا..

إن الهم اليومى لا يولى عندنا للجمال أو الأنوثة درجة أقل مما تستحق، ولكنه يفرق بين الجمال الذى لا يكترث بغير الأحداث اليومية التافهة، وبين الجمال الذى يسعى للتغيير، فلا نظن أن الجمال الآن يمثل القطب الرئيسى فى دائرة اهتمامات المرأة.. وإنما ذكاؤها الوهاج حين نطالع الصحف على أسماء نساء واعيات فى المجالس الشعبية أو نساء واعيات فى بعض المراكز الدينية..

وهو ما لابد أن نشير معه إلى كثير من حقائق الطبيعة والتكوين الإنسانى الذى لايمكن أن تخلو منه أية امرأة تعيش فى أى مكان فى هذا العالم ..

فالجمـال وحده لايكفي لتصف امرأة، وانما وراء الجمال وأمامه درجة الوعى القصوى فى أية ممارسـة جدية فى هـذا العالم؛ فلا يمكن أن يكون الجمال وحـده العامل المؤثر فى وجود المرأة ودرجة اهتماماتها.. لقد اكتشف عالم الآثار الأمريكى روبرت بيانكى – على سبيل المثال – أن كليوباتـرا لم تكن جميلة وإنما كانت شـخصية جذابة، وهى كامرأة لم تكن تدير رأس أحد «إن لها قوة وذكاء أى حاكم رجل.. وليس لها من صفات المرأة ولا قدرتها على الإغراء. ولم يكن لها أى نصيب من جمال الجسد»..

ومـع ذلك، وعلى رغـم ذلك.. فإن كليوباترا تركت على وجه التاريـخ آثارًا غائرة لم تتركها الكثيرات من الجميلات المسطحات ..

وهو ما تفرضه علينا حين تهل علينا بذكائها الملحوظ وليس فقط بجمالها.

نذكر هذا لأن الكثير من «كليشيهات» الأنوثة التى يسعى العالم الغربى الرأسمالى الآن لتكريسها بعيدا عنه لا تتناسب قط مع عالمنا العربى..

إن النسـاء هنـاك بدأن أخيرًا فى فهم سـر اللعبة، وبدأن يتمردن على هـذا الواقع غاضبات صائحـات أن.. «الرجال يريدوننا أن نرتدى التنورة القصيرة.. والملابس الداخلية المغرية والمزينة بالدانتيل»...

نذكـر هـذا لأن عديدًا من نسـائنا الجميلات يتجهـن إلى الغرب؛ حيث الجراحـة التجميلية (السـيليكيون) تسـتحوذ على كل اهتمامهن، وحيـث التخصص فى جراحة الجمال عند النسـاء حيث وصلـت فى مدينـة مثل كاليفورنيـا إلى أن يعمل فيها قرابـة ٢٠٠,٠٠٠ جراح تجميل فى نهاية القرن العشـرين وإلى اسـتيراد – كمـا نلاحظ – آلاف الأدوات التـى ترفع درجة الجمال الأهوج المتخلف ...

نذكر هذا لأن عديدًا من نسائنا – على رغم ذلك – لا يكدن أن يعشن على الكفاف، ولا يسمعن عن هذا المجتمع الاستهلاكى ونسائه قط، اللهم إلا من خلال أجهزة الإعلام.

نذكـر هـذا لأن الردة على المـرأة العربية تحاول أن تدمر بعض ما كسـبته على مدى التاريخ الحديـث.؛ فعلى رغم أن هدى شـعراوى بدأت معركتها الكبرى برفع اليشـامك والأنقبة، فإن اليشـمك والنقاب الآن عاد أكثر من هذا العصر فى بداية هذا القرن خلال جماعات غير واعية، وجماعات حزبية تبحث عن مكاسـب سياسـية، ورجال متخلفين لا يرون تأكيد صورة (سـى السيد) إلا بوجود (الست) كشىء فى البيت.

وقبل هذا واستجابة لهذا النزوع المتخلف لدى العديد للرجال..

إن مكاسـب المرأة التـى حصلت عليها فى حقبة بعيدة تشـهد تراجعًا حادًا فى كل مجال: تعليـم المرأة يتراجع، الدعوة لعودة المرأة تكسـب أنصـارًا كل يوم، ضآلة وجود المرأة فى الحقل السياسى يستمر..

الأكثر من هذا إيلاما أن نشهد الآن الكثير من الجمعيات الأهلية أو المسماة بهذا الاسم الذى يجـد لـه الآن الكثير من الأنصار والجماعات المتخلفة التى تبحث عن المرأة وراء الحجاب فقط، وهـو الحجـاب الذى لا ننكره مادامت المـرأة واعية بمايحدث حولها، لاتنـزوى وراء الحجاب والنقـاب فى وقت العـدو مازال يتربص بنا، والعدو من الداخل من بنى جنسـها مازال خاضعا لأفكار غربية تقترب من دعوات المستعمر وحسب.. إلى غير ذلك مما يعكس واقعًا يزرى بالمجتمع قبل أن يستعيد المرأة إلى البيت ويستعيد الملكات الطبيعية فيها.

وهو ما يطرح علينا أسئلة كثيرة، خاصة مع دخولنا عصر «الفضاء التخيلى» والفضائيات الحرة والإعـلام المتخلف لأدواته الحضارية والمقيدة وبتحديات الصهيونية والإمبريالية مع وصولنا لفترة حرجة تحتاج إلى وعى عربى يحمل رموزًا عقدية بناءة لا تفرق بين رجل وامرأة..

وهـو ما زاد أهمية خاصة فى مواجهة الخطر الغربى العدوانى المتصاعد فى رموزه فى الداخل والخارج على السواء.

ولهذا ولغيره، نرى أن (النسوان) الآن فى حاجة إلى استعادة الوعى لا تغطية العيون والوجه والعقل أيضا، والدوران فى الساقية التى يجب أن تستمر كما يريد صاحبها بأية صورة..

وفى حاجة إلى لعب دورها بجانب الرجل وليس ضده..

وفـى حاجة إلى فهم أن المجتمع المتخلف يفرز امـرأة متخلفة، وأن المرأة غير الواعية تكرس لهذا المجتمع المتخلف وتعمل له..

نحن فى حاجة إلى أن ندرك أن دور المرأة فى عالمنا لا يقل عن دور الرجل، فترف التسـلية لا نملكه، نحن الرجال والنساء التعساء فى هذا العالم الظالم، ولا يجب أن يملكنا..

بقى أن نذكر أن هذه النماذج هنا فى العصر الحديث نشرت فى أغلبها فى الحقبة الأخيرة، عدا اثنتين، كتبتا ولم تنشـرا إلا مع نشـر هذا الكتاب فى بدايات القرن الحادى والعشرين، ريا وسكينة، وكليوباترا..

إن نموذج المرأة الفرنسـية – سـوزان – مازالت تلعب عندنا – فى الشرق التعس– هذا الدور التبشـيرى المضاد لنا؛ و هذا الدور المثالى من النسوان يلعب دوره المزدوج، وما زال، مع الرجل، ومع الاستعمار. كما أن نموذج المرأة المصرية – كليوباترا – ما نشرت بالفعل على رغم أنها كتبت فى فترة ما بين القرنين؛ ولهذا آثرنا أن تكون بين هذه النماذج الإيجابية للمرأة الشرقية اليوم.

بقيـت ملاحظة بدهية هنا، هى أننـا حاولنا أن نعيد النماذج المتخلفة إلى الأذهان، ولكننا لم نتوقف عن التذكير بهذه النماذج الإيجابية فى هذا العصر..

ولهذا، وغيره، آثرنا أن نعيد نشر هذه الأمثلة أو النماذج الإيجابية وحسب.. وهذه النماذج تؤكد وجود هذه النماذج السلبية، وهى تؤكد كذلك الإشارة إلى دور النماذج الإيجابية فى عالمنا..

بقى أن أقول: إن هذه النماذج كتبت فى السنوات الأخيرة على مراحل متفرقة، وكان يتابعها صاحبها من آن إلى آخر، وهو ما يمكن أن يقال معه: إنه من السهل أن نعثر فيها على العديد من الخيوط الإيجابية فى النسيج الفكرى للكاتب، ورصد العديد من العناصر الإيجابية «فى الخطاب» الفكرى العام..

فأرجو أن أكون وفقت ..

ولله الأمر من قبل ومن بعد ..

**مصطفى عبد الغنى**

□□□